

التلاحم والترابط في المجتمع



«الحب» في الإسلام يشكل قاعدة مركزية للعواطف والمشاعر والأحاسيس في وسط الجماعة المسلمة الذي يوجهها لتنتج ولاءً واحداً في حياتها وهو الولاء الإسلامي والذي في ظله تتلاشى كل أشكال الولاء للتراب أو الدم أو الطائفة فتتجو هذه الجماعة بسبب رابطة الحب في الإسلام من ألوان التمايز والتفاضل العرقي والعصبي والطائفي والتي تتعرض الجماعات الإنسانية بسببها إلى اضطراب حياتها الاجتماعية ومصادرة سعادتها. الحب في الإسلام يعمق حالة التلاحم والارتباط والاندماج في صفوف الجماعة المسلمة ومن خلال هذا الاندماج والتلاحم يتحدد خط سير هذه الجماعة نحو الإسلام سبحانه وتعالى وتشكل مسيرتها قوة واحدة عزيزة مجاهدة تقوى على التغلب والانتصار على أي جماعة منحرفة عن خط الإسلام تصارعها في الطريق أو تقف في طريقها لأن بنائها الجديد في ظل حب الإسلام يمكنها من التخلص من كل أشكال الخوف على الحاضر أو المصير والمستقبل ما دامت هي واثقة بوجهة سيرها في سبيل الإسلام ومطمئنة عزيزة بوحدها وقوة تماسكها، قال الإسلام تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة/ 54). الحب في الإسلام يوجه عواطف ومشاعر الجماعة المسلمة إلى رسالتها فينمو تفاعل المسلم معها ويتصاعد ارتباطه بها حتى تستولي على كل شيء في حياته، لأجلها يحيا، ومن أجلها يموت، ويغدو كل ما سواها زهيدا لديه، فهي أنشودته التي لا يأنس إلا بها، وأمله الذي به يعيش، وزاده الذي يمكنه من الحياة، عن أبي عبد الله (ع) قال: "كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له". وبذلك يحقق الحب في الإسلام انسجاماً نفسياً مع رسالة الإسلام في الحياة، لأن الذي يحب في الإسلام يعشق كل من يقربه إليه. الحب في الإسلام ينجي الجماعة المسلمة من خطر التعرض للأوبئة والأمراض الاجتماعية والأخلاقية والتي تمزق الجماعات الإنسانية وتؤدي إلى ذوبان الحضارات وانهايار الأمم، لأن هذه الأمراض سببها الهوى "الحب في غير الإسلام" عندما يكون أداة توجه الإنسان وتحدد طبقاً له مواقفه وعلاقاته الاجتماعية، فتضطرب عندئذ الحياة ويتحول وضع المجتمع الإنساني في ظل سيطرة الهوى إلى بحر متلاطم من النزوات والمصالح والمواقف المتناقضة وتمتليء الحياة بالضجيج ويتحول وضع المجتمع هذا إلى وسط صالح لبروز وتفشي الأمراض الأخلاقية بمختلف أنواعها. ولكن في ظل رابطة الحب في الإسلام يختفي ذلك التناقض في المصالح والمواقف ويتحول سعي الفرد في الجماعة المسلمة لتحقيق المصالح الاجتماعية إلى مكسب شخصي لما يمكن أن يقرب ذلك الموقف أو

العمل هذا الإنسان ﷻ تعالى، عن الباقر (ع) قال: "إذا أردت أن تعلم أن فيك خير فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة ﷻ يبغض أهل معصيته ففبك خير.. وإن كان يبغض أهل طاعة ﷻ ويحب أهل معصيته فليس فيك خير وﷻ يبغضك.. والمرء مع من أحب". الحب في ﷻ تتولد عنه الكثير من حالات الفداء والإيثار العالية التي يؤدي انتشارها في حياة الجماعة المسلمة إلى أن تعيش حياة هائلة سعيدة، وتأريخنا الإسلامي زاخر بأمثلة فريدة لهذه الحالات، ولعل التجربة الأولى للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار هي من أروع تلك الصور وأبرزها وضوحاً، وفي حاضرتنا نشاهد الكثير من حالات الفداء والإيثار التي هي من آثار الحب في ﷻ في حياة الجماعة المسلمة، قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلْءِءْرَ وَٱلْءِءْمَآنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَآجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَآجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى ٱلْءَنفُسِهِمْ وَٱلْوَدَّ كَأَن بِهِمْ خَصَآصَةٌ وَمَن يُوَقِّ شُحًّا نَفْسِهِ فَءَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (الحشر/ 9). الحب في ﷻ يؤدي إلى وحدة الموقف والقرار من القضايا المتشابهة والأحداث في حياة الجماعة المسلمة، لأن الطبيعة والحالة الواحدة للمشاعر والعواطف ينتج عنها عندما يضاف إليها وحدة الفكر، الموقف الموحد والقرار الواحد. بقى علينا أن نعرف أن الحب في ﷻ هو فرع عن حب ﷻ، فإذا أردنا أن نوجد حالة الحب في ﷻ وننميها في الحياة الاجتماعية ينبغي أن نسعى لإيجاد حالة حب ﷻ في هذه الحياة ونستمر في تنميتها ليكون الحب في ﷻ قد ولد كنتيجة طبيعية لحب ﷻ فيحتل حب ﷻ موقع القاعدة التي تتولد عنها كل تلك المشاعر والعواطف والأحاسيس الإسلامية التي تجسد حالة الحب في ﷻ في الحياة. قال الإمام زين العابدين (ع) في مناجاة المحبين: "إلهي من ذا الذي ذاق حلوة محبتك فرام منك بدلاً، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً، يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين أسألك حبك وحباً مَن يحبك وحباً كل عمل يوصلني إلى قربك وأن تجعلك أحب إلي مما سواك، وأن تجعل حبي أي بك فائداً إلى رضوانك وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك". عن رسول ﷻ (ص): "قال ﷻ عز وجل لداود أحبني وحببني إلى خلقي. قال يا رب نعم أنا أحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال اذكر أيادي عندهم، فانك إذا ذكرت ذلك لهم أحبوني".

وعن الرضا (ع) عن آباءه (ع) قال: قال رسول ﷻ (ص): أوحى ﷻ عز وجل إلى نبيه موسى: أحبني وحببني إلى خلقي! قال يا رب ها أنا ذا أحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكر لهم نعماتي عليهم، وبلاي عندهم، فإنهم لا يذكرون أو لا يعرفون مني إلا كل خير".

وخلاصة القول إن الحب حالة متبادلة بين العبد وربّه سبحانه، فالعبد عندما يحب ﷻ ويقبل إليه ويسير في هداه سوف يحبه ﷻ ويصح سيره ويطهره من كل ما هو عالق به من أرجاس الانحراف عن هدى ﷻ. قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران/ 31). ▶